محمد متولي الشعراوي

محمد نبي الرحمة

الشمائل المحمدية

ورد شبهات المستشرقين

أعده للنشر

أبو هاني الأنصاري



دار المسلم المعاصر
بالقاهرة

محمد متولى الشعراوى

الشمائل المحمدية
ورد شبهات المستشرقين

أعده للنشر

أبو هانى الأنصارى

دار المسلم المعاصر
بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مناقبة الخلقيــة والخلقيــة

,,حليتــه صلى الله عليه وسلم,,

رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عند ربه بالمكان الذى نعرفه له ، وهو عند المؤمنين به بالمكان الذى يرضى الله عن وجوده فى نفوس من آمن به . ورسول الله صلى الله عليه وسلم حينما يتكلم المنصفون عن صفاته الخلقيـــة انما يتكلمون عن صـــدى ما استمالتهم صورته صلى الله عليه وسلم استمالة — كما يقول الأدباء — كانت قيد الناظر اليه . اى أن الناظر اليه صلى الله عليه وسلم كان يقيده كل حسن فيه وما ذلك الا لان الطاقة الحبية والطاقة القلبية لا تجعل لناظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معدى عن استدامة النظر اليه ، والنظر اليـــه كما عرفنا يعطى اشعاعات اليقين ويعطى اشعاعات الايمان والدليل على ذلك أن من رآه صلى الله عليه وسلم كان صحابيا ومعنى ذلك أن للرؤية الذاتية تأثيرا فى كيان المؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكون الواصفين له يدققون الوصف له فى آدقّ الاشياء يدل على أنهم لم يفتهم شىء من صـــفاته صلى الله عليـــه وسلم ، وان اختلف الواصفون فى شىء فانما هو اختلاف اللقطات أو اختلاف التعبير عن اللقطات ، فان مثلا آلات التصوير حينما تصور انسانا فعلى قدر جودة الآلة وعلى قدر قدرة ومهارة من يستعمل هذه الآلة تخرج الصورة طبق الأصل ، ولكنهم فى الجملة يلتقون على أشياء ، هذه

الأشياء تميزه صلى الله عليه وسلم ببنية كاملة متكاملة بحيث يكون للقلب منه غذاء وللعين منه غذاء وللأذن منه غذاء ، بمعنى أن ادراكات المؤمن كلها يكون لها غذاء منه صلى الله عليه وسلم .

ونحن اذا نظرنا الى جملة ما وصف به صلى الله عليه وسلم نجد الجامع لذلك هو رواية سيدنا الحسن بن على عن خاله هند بن أبى هالة ، قال الحسن :

(سألت خالى هند بن أبى هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم) والتعبير هنا بكلمة حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل على أنه يلحظ أن كل وصف فيه حلو ، فكأن وصوفه كانت حلية فى ذلك الكمال النبوى . (وأنا أبدو أن يصف لى منها شىء ... لماذا ؟ .. أتعلق به) يعنى حين يتصور ذاته الشريفة تحدث له صورة فى نفسه عن هذه الذات لينقلها الى المؤمنين به فتحدث لهم أيضا صورة نفسية عن هذه الذات . وولع النفس المحبة بالصورة المادية الشكلية لمن تحب أمر نعرفه عند الكتاب وعند الأدباء وعند الشعراء بل وعند النبوة أيضا ... فان رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما عرج به الى السماء وتكلم عن سيدنا موسى وتكلم عن سيدنا عيسى وتكلم عن سيدنا ابراهيم ، سئل من أصحابه : ما كان شكل ابراهيم ؟ ... ما كانت صفة موسى ؟ .. ما كان شكل عيسى ؟ ... فيقول صلى الله عليه وسلم : **(أما موسى فرجل آدم طوال كأنه من رجال أزد شنوءة)** أعطى وصفا مقربا لسيدنا موسى بالأدمة فى لونه وبهذا الطول ... وحينما يتكلم عن سيدنا عيسى يقول : **(كثير خيلان الوجه)** ومعنى كثير خيلان الوجه فى عرفنا الحسنات التى نقول عنها : فلان فى وجهه حسنة ، اى فى وجهه خالات كثيرة **(يقتر وجهه)** يعنى مندى دائما رطب (كأنه يخرج من ديماس) اى كأنك حين تراه خارجا من حمام

وما يتبع ذلك من كثرة العرق المتصبب منه . وبعد ذلك يقول عنه عليه السلام : **(أشبه أصحابكم به عروة بن مسعود الثقفى)** فكأن من يريد أن يتخيل صورة عيسى عليه السلام فعليه أن ينظر الى عروة .

وبعد ذلك يقول عن سيدنا ابراهيم : **(أما ابراهيم فأشبه الناس به صاحبكم هذا)** يعنى ذاته الشريفة .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل ذلك الا لأنه يعلم أن النفس المحبة تشتاق على أن تأخذ فكرة ولو جملية عمن تحب .. حتى اذا ما تصــور المعانى تصــورها فى مجنب يمكن للعين أن تستوضحه ويمكن للنفس البشرية أن تأنس بذلك القالب ، ... فهو حين يسأل الحسن خاله هند بن أبى هالة عن حلية رســول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يعطى نفسه ذلك الزاد التصورى ، ويريد أن ينقل لنا ذلك الزاد التصورى ، والا فمن منا يتخيل كيف كان شكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .. كيف كان طوله ؟ .. كيف كان لونه ؟ .. كيف كان شعره ؟ ... كيف كانت مشيته ؟ .. كل ذلك أمر شغل الناس جميعا ، فلو لم تأت هذه المسألة فى سيرته صلى الله عليه وسلم لكان ذلك هو العجب ... ولكن مجيئها يمثل أنه أعطى شيئا تتطلبه النفس البشرية ، فماذا قال هند بن أبى هالة فى حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال :

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما) ومعنى فخما مفخما أن العين لا تتقحمه ساعة ينظر اليه الانسان يجد له فخامة ... يجد له عظمة ... يجد له هيبة ... اذن لا تتقدمه العين يعنى يعطى شيئا من الجلال وشيئا من المهابة وهذا أمر يتطلبه موضعه من رسالة الله فى الأرض ... فخما مفخما ... ثم

ينتقل الى وجهه ليعطينا الصورة ... والوجه هو السمة الأصيلة فى تشخصات الأشخاص ، فيقول : **(يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر)** ... وبعد ذلك يعطينا الفكرة عن قوامه صلى الله عليه وسلم فيقول : **(هو أطول من المربوع وأقصر من المشذى)** والمربوع الذى كما نقول فى عرفنا : أنه مربع ، يعنى : طوله أقرب من عرضه ... والمشذى هو الطويل البائن فى نحافة ... تخيل الصورتين : الطويل البائن الطول فى نحافة والرجل المربوع الذى يكاد طوله يقرب من عرضه .. الصورة اذن ليست الصورة الكمالية التى توجد للطول ... هو أطول من المربوع وأقصر من المشذى ... يعنى بين بين ... يعنى هو فى أوسط القوام ... وبعد ذلك يقول : (عظيم الهامة) ومعنى عظيم الهامة أن رأسه وما يحملها من رقبة ساعة تراها ترى عظمة تستميل وتستلفت النظر .. وبعد ذلك يقول عنه (وكان رجل الشعر) ، والرجل من الشعر هو الذى بين الجعودة والسبوطة يعنى (بعرفنا) ليس بالشعر الناعم أو الشعر المجعد .. يعنى أنه شعر متموج ... (اذا انفرقت عقيقته . فرق والا فلا ، يتجاوز شعره شحمة أذنيه اذا هو وفره) ومعنى اذا هو وفره ان ذلك لم يكن حالة رسول الله صلى الله عليه وسلم دائما ... فلأنه كان مثلا فى النسك يحلقها بالموسى .. اذن فحين يأتى أمر نسكى يتطلب منه صلى الله عليه وسلم أن يحلقه .. يحلقه .. بالدليل القوى (اذا هو وفره) .. وكأنه كان يوفره مرة ولا يوفره مرة أخرى .. وبعد ذلك ينتقل من موضوع شعره فيتكلم عن شىء آخر .. يتكلم عن لحيته يقول : (كان كث اللحية) ...

وبعد ذلك ينتقل الى عينيه فيقول (أدعج) والأدعج هو من كان سواد عينيه شديدا ... وبعد ذلك ينتقل الى شىء آخر فيقول (كان ضليع الفم) أى متسع .. وهذا أمر تحمده العرب ..

وخصوصا فيمن كانت رسالته البيان ولذلك يقولون : مفوه .. أى يتكلم بالكلام ، وفمه ليس ضيقا بحيث يحجز الصوت حجزا يجعله أشبه بالصفير ولكن الصوت يأتى من كل جوانب فمه وذلك أدعى الى أن يأخذ الصوت كل الانغام التى تؤثر فى السامع ، .. وبعد ذلك يقول (معتدل البدن متماسكا) ومعنى متماسك أن سمنته ومعنى الشنب فى لغة العرب أن أسنانه رقيقة دقيقة ... فيها مائية تعطى بريقا ... وبعد ذلك يقول (مفلج الأسنان) مفلج الأسنان يعنى فيه فضاء بين أسنانه وذلك أدعى الى طيب الفم لان بقايا الطعام لا تتخلل الفضاء بين أسنانه فتتعفن ، .. وبعد ذلك يقول (معتدلا البدن متماسكا) ومعنى متماسك أن سمنته ليست مرهلة أو كما نقول مضمر ، أى ان كان فيه شىء من السمنة فليس من السمنة المستلقية ... وبعد ذلك ينتقل نقلة أخرى فيقول : (وكان صلى الله عليه وسلم ضخم الكراديس) وهى رؤوس العظام ومعنى ضخم الكراديس أنه منبسط يعنى ليس كالأحدب، أو المتجمع أو المنقبض بل هو مفرود القوام ... وبعد ذلك يتكلم عنه صلى الله عليه وسلم فيقول : (وكان صلى الله عليه وسلم أشعر الذراعين) أى ذراعه به شعر (والمنكبين وأعالى الصدر ، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالفرط) يعنى أنه دقيق .. شعرة متواترة وراء شعرة ... فانظروا الى هذه الدقة التى استوعبت حليته صلى الله عليه وسلم ... وبعد ذلك يقول : (خمصون الاخمصين) أى أن وسـط قدمه بالداخل لا يلتصق بالارض ، وهذا عيب خصوصا فيمن يطلب منهم أن يكونوا عدائين أو جرائين أو ... الخ وهو ما يسمى (فلات فوت) ومع ذلك كان يقول : (وكان مسيح القدمين) يعنى أنه لا توجد تجاعيد فى بشرته ... فاذا صببت عليهما الماء لا يحتجز منه شىء بل يسيل عنهما الماء ويتدحرج عليهما كأنهما من البلون .. وبعد ذلك ينتقل الى وصف آخر فيقول : (كان صلى الله عليه وسلم شثن الكفين

والقدمين) ومعنى ذلك كما نقول فى عرفنا : غير ظاهر العروق .. (وكان سائل الأطراف) يعنى أصابعه فيها شىء من الطـول والاسترسال ...

وحينما يتكلم بعد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتقل الى شىء آخر فيقول **(وكان دائما خافض الطرف)** وخافض الطرف يعنى مغمضا بعض الشىء ... (نظره الى الأرض أطول من نظره الى السماء ، جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام) ومعنى يسوق أصحابه أنه حينما كان يمشى دائما يكون أصحابه أمامه ويكون هو صلى الله عليه وسلم خلفهم ... ولما سئل عن ذلك مرة قال : **(خلوا ظهرى للملائكة ربى)** ... ويبدأ من لقيه بالسلام ... وذلك شأن المتلطف ... كل هذه الصفات .. ، الصفات الخلقية تعطينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استوقف انظار هؤلاء حتى استوعبوها هذا الاستيعاب لينقلوها الينا لتعطينا شيئا من راحة النفس حين نتصور كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

منطقه صلى الله عليه وسلم

الرسول صلى الله عليه وسلم اسوة .. واسوة انما تأتى فيما يمكنه أن يصنعه المتأسى بالمتأسى به ... صفاته صلى الله عليه وسلم الخلقية لا مجال لأحد ان يقول : أتأسى بها لانها هبة الله تعالى للانسان ... اذن الصفات الخلقية التى تكلم عنهـا الحديث انما كانت مدخلا ليعطينا الصورة عن الأشياء الأخرى حتى تقع التصورات المعنوية التى يمكن أن احمل سلوكى عليها على شىء موضح فى الذهن يستطيع الانسان أن يجعل هذه الخلال قائمة به ... اذن فالصفة الخلقية لا تصل لنا بالأسوة فيها أبدا لأن هذه هبة الله .. ولا نقدر أن نقول لرجل : تأس برسول الله أن تكون طويلا ... أو تأس برسول الله أن تكون قصيرا .. أو ... الخ . ولكن الأسوة الحقيقية هو فيما يصدر عن هـذه الذات الكاملة من الصفات الخلقية التى يمكن أن يكون للأسوة فيها مجال .. ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مهمته عن ربه البيان .. لقد كان أول شىء انتقل اليه الحسن فى سؤاله خاله هند بن أبى هالة قال : صف لى منطقه ... فأعطانا هند صورة عن منطقه فقال :

(كان صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان) أى أنه كان يحزن للمهمة التى كان يقوم بها ... وهذا الحزن هو ما يفسره الحق فى قوله سبحانه **(لا تحـزن) (لعلك باخع نفسـك على**

آثارهم) ... حينما يجد انصرافا عن الدعوة وهى دعوة متضحة فى ذهنه وبفطرته ، وبتكوينه يعجب أن هؤلاء لا يؤمنون بها ... فهو يحزن لهم ولا يحزن الأمر يتعلق به هو ... ولذلك يجب أن نلتفت جيدا الى أن الحزن من رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يؤخذ لو أن الحزن كان لأمر يتعلق بشىء ناله ، ولكن الحزن كان لأمر يتعلق بشىء ينال الآخرين .. .وهذا يدل على حرصه صلى الله عليه وسلم ... فاذا أنا حزنت مثلا لأن ابنى لا يطيع كلامى أو لأن ابنى لا يلتفت الى واجبه فهو لا يعتبر حزنا لأمر عائد على وانما هو حزن على من يحزن عليه .. لا على نفسه ... فقال له عنه (**كان متواصل الأحزان دائم الفكرة**) دائم فكره لأن مهمته تستلزم هـذا .. كيف يقابل هـؤلاء ؟ ... كيف يكون منهج الدعوة ؟ ... ماذا يصنع فى أتباعه المضطهدين ؟ ... ماذا يصنع فى القوم يتكالبون على الضعفاء ويريدون أن يفتنوهم عن دينهم ؟ .. وبعد ذلك يقول : (**وكان طويل السكوت**) .. ثم ينتقل الى كلامه صلى الله عليه وسلم فيقول : (**يفتتح الكلام ويختمه باشداقه**) يعنى ــ **بعرفنا** ــ لا يتكلم من طرف مناخيره .. فكلامه يملأ فمه حتى يأتى من هذا الشدق ... أى كما قلنا سابقا (**مفوه**) ... وبعد ذلك قال : (**يتكلم بجوامع الكلم**) ومعنى جوامع الكلم : الكلمة الموجزة تحمل المعانى المطلوبة ... لـماذا ؟ .. لأن عنده اعجاز ومادام عنده اعجاز اذن فيمكن أن يلم كثيرا من المعانى فى اللفظ الموحى والمعبر .... (**يقول القول فصلا لا فضول فيه**) أى لا زيادة فيه عن المطلوب ... ولا تقصير فيه عن المطلوب ....وبعد ذلك يقول : (**كان دمسا**) ومعنى دمسا أنه كان صلى الله عليه وسلم لين الخلق يأنس اليه من يلقـاه ... ويأنس اليه من ينظر اليـه ... ... ويأنس اليـه من يتحـدث اليـه ... يقول : (**لا يذم ذواقا ولا يمدحه**) أى لا يذم طعـاما قـدم اليـه ولا يمدحه ... لا يذمه لأنه نعمة ... ولماذا لا يمدحه ؟... لأن مدح أى ذواق

ربما كان تعريضا لأن الطعام الآخر الذى لم يمدحه مكروه فلا يذم ذواقا ولا يمدحه ... (**لا يقاوم غضبه اذا تعرض للحق بشىء حتى ينتصر له ، ولكنه كان لا يغضب لنفسه ولا يستفزه شىء)** .

وبعد ذلك يتكلم عن حالته الأدائية لحركة حين يتكلم فيقول : (**اذا أشار أشار بيده كلها**) يعنى لا يشير بالاصبع كما اعتاد الكثير من الناس ... ولكن لماذا اذا أشار أشار بكفه كلها ؟ .. فكأنه أدخر المسبحة للتوحيد فقط ... لا يشير بها الا للتوحيد فقط ... فيشير بكفه كلها ... (**واذا تعجب قلبها**) أى اذا تعجب من أمر صار يقلب كفيه ... (**واذا تحدث اتصل بها**) ومعنى اتصل بها أن يضرب بابهام اليمنى راحة اليسرى ... (**واذا غضب أعرض وأشاح**) ومعنى أنه اذا غضب أعرض وأشاح أنه رءوف حتى فى حالة غضبه .. لا يريد أن يرى من أغضبه شكله وهو غضبان .. (**واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم**) أى لا يقهقه ... (**ويفتر عن مثل حب الغمام**) .

* * *

مدخله صلى الله عليه وسلم ومجلسه

لنستدل على دقة التوثيق فى كل ما نقل .. ينتهى هنا كلام الحسن رضوان الله عليه ... ثم ينتقل الكلام الى أخيه الحسين ، قال الحسن فى الحديث : **(فكتمتها عن الحسين زمانا)** أى كتمت هذه الأوصاف التى قالها هند للحسن عن أخيه الحسين .... **(ثم حدثته بهافوجدته قد سبقنى اليه فسأل أباه عليا)** وليس هند ، ولكن سأل عليا أباه ... وعلى هو من هو أداء وبيانا ... وحبا واستقبالا لصفات رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فسألته عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله وكل شىء يتعلق به ... فلم يدع من ذلك شيئا — الرواية هنا للحسين — قال الحسين : **(سألت أبى عليا عن دخوله — صلى الله عليه وسلم — فقال : كان دخوله — صلى الله عليه وسلم لنفسه مأذونا له فى ذلك)** يعنى تميز رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أنه كان اذا دخل على قوم لا يستأذن ... لماذا ؟ .. لان عنده الاشراقيات .. وعنده النور الذى يعرف أنه لا يدخل على انسان وهو فى حال لا يجب أن يراه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ومادام هذا الأمر ، ماهو معنى الاستئذان ؟ ... الاستئذان الا أقتحم على أحد حجابه .. لماذا ؟.. لأنه ربما كان فى وضع لا يجب أن أراه عليه ... ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم باشراقياته يعرف أنه حين يدخل لا يكون من دخل عليه فى حال يجب أن يستره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

ولان رســـــول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم أولى بالمؤمنين من أنفســـهم ... **(وكان اذا آوى الى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء : جزءا لله)** لان هذا هو المعين الذى يتلقى منه الكماليات .. **(وجزءا لأهله ، وجزءا لخاصة نفسه)** فاذا ما نظرنا الى هـــذا الجزء الذى هو خاصة نفسه ... كان ماذا يصنع فيه ؟ ... **(جزأه ـ أى الخاص بنفسه ـ بينه وبين أمته فيرد ذلك على العامة بالخاصة)** يعنى الخاصة الذين يفهمون اليه ، يقول لهم هذا فى هذا الجزء من خاصة نفسه ما ينقلونه الى العامة ... لانه ليس من المعقول أن عامة المسلمين كلهم يذهبون الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم : والمكان الضيق الذى به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان يرد ذلك على العامة والخاصة ... **(وكان من سيرته فى جزء الامة ايثار أهل الفضل باذنه)** أى يأذن لهم بالدخول عليه ... **(وقسمتهم الوقت)** كأن كل واحد لمقامه من رسول الله صلى الله عليه وسلم تقديما أو اعطاء وقت زائد على قـــدر فضلهم فى الدين **(فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج)** اذن فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل مقاييس الاذن وطول المدة معه أو طول الحديث معه يتحكم فيه منزلة الرجل من الدين ، ومادام التحكم المنزلة من الدين ، فهذا يعطينا دستورا للحاكمين أن يكون المقياس مقياسا دينيا ... وليس مقياس النفاق والغش ... فعلى مقدار حظه من دين الله يأخذه اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأخذ قسمته ... **(منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج ثم بعـــد ذلك يتشاغل بهم)** يعنى لا يكونون معه ثم يسرح بعيدا عنهم ... بل هم يتشاغلون به ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مسألته عنهم ... يعنى حين يدخل يسأل الانسان عن حال نفسه ، وهذه عملية نفسية .. لمـــاذا ؟ ... لأن هذا الانسان القادم اليـــك اذا كان عنده شىء من مشاغله الخاصة يشغله لا يحسن استقبال

ما تقول ... ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريدهم أدوات استقبال ... الفرصة التى يجتمعون معه فيها ينقلون الى الناس شيئا ، فاذا ما كانت هناك أمور تشغله فى خاصة نفســه ربما شغلته هذه الامور .. أو ربما أخذت هـــذه كل فكرة يحب أن يستوعبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسألته عنه واخبارهم بالذى ينبغى لهم ... ثم بعد ذلك ثمن الاذن عليه وثمن القسمة الزمنية التى يعطيها بطلب منهم أن يؤدوا مطلوبات هذه القسمة وهذا الاذن فيقول : (**ليبلغ الشـــاهد منكم الغـــائب ، وأبلغوا فى حاجة من لا يستطيع ابلاغى حاجته**) وهـــذا يعطينا الدرس على أن الذين تكون لهم أسباب الى السلطان أو أسباب الى الحاكم أو أسباب الى الوالى يجب أن يكونوا رسل خير .. وسفارة للذين لا يستطيعون أن يقتربوا من مكانه وأن يأتوا الى حضرته ليسمعوا عنه ... ليبلغ الشاهد منكم الغائب وابلغونى حاجة من لا يستطيع ابلاغه حاجته ... ثم يعمم الحكم فيقول : (**فانه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغه ثبت الله قدميه يوم القيامة**) معنى ذلك أنه يعطى الأسوة المطلوبة فى أن يكون الذين يحظون بآذان الحاكمين أو يحظون بمجالس الحاكمين أن يكونوا وسائل خير عندهم لمن لم يستطع أن يصل الى ذلك المكان ... والثمن أن يثبت الله قدميه يوم القيامة ... قال فى رواية سفيان ابن وكيع (**يدخلون روادا**) ومعنى يدخلون روادا أى لا يتطلبون الدخول لقصد الدخول وانما يتطلبون الدخول لكى يكونوا روادا يحملون الخـــير الى النـــاس ... (**ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون أدلة**) يعنى فقهاء كل واحد منهم يستطيع أن ينقل ما سمعه من رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، وأن يقول ما فقهه عنه وبذلك تنتشر دعوته صلى الله عليه وسلم عنـــد من لم يحضر مجلسه بواسطة من حضر هذه المجالس .

***

مخرجه صلى الله عليه وسلم

قال الحسين : فسألته عن خروجه صلى الله عليه وسلم كيف كان يصنع فيه ، فقال : ((**كان صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعينهم ويؤلفهم ولا يفرقهم**)) ومعنى يخزن لسانه انه لا يهزل فى كلامه .. لا يتكلم الا فى الموضوع الذى يعلم انه يؤلف القوم ويعنى هؤلاء القوم .. (**وكان يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم**) يكرم كريم كل قوم لأن ما معنى كريم كل قوم ؟.. هو الذى يجد عنده القوم راحتهم فى ذوات نفوسهم .. فى ذوات أيديهم الضيقة .. وما دام انسان خصاله الكريمة متعدية الى الغير ، وما عنده من خير الله متعد الى الغير فمثل هذا يؤتمن أن يكون واليا على هؤلاء لأنه اذا كان قد تعدى منه الخير وهو غير ظالم فهذا يطمئن على انه ان ولى الأمر فلن يأخذ شيئا لنفسه .. فانه يكرم كريم كل قوم لأنه يستحق أن يكرم .. وبعد ذلك يوليه عليهم .. وبعد ذلك قال : (**يحذر الناس من غير أن يطوى عن أحد بشره وخلقه**) يعنى فطن .. يعرف حين يتكلم انسان أن يزنه بالميزان الاحتراسى .. بالميزان الحسنى .. لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان عرضة لأن يدخل عليه المنافقون .. كان عرضة لأن يدخل عليه من يدس عليه ، فكان صلى الله عليه وسلم يحذر الناس لكن هذا الحذر لا يتعدى الى انفعاله على الغير .. (**من أن يطوى عن أحد بشره وخلقه ، يتفقد أصحابه**) ومعنى يتفقد أصحابه انه اذا غاب واحد

سأل عنه .. اين فلان ؟ ولماذا ؟.. مريض .. فى حاجة .. فى أى شىء .. هـذه تدل على حسن رعايتـه لأصـحابه .. واذا ما نظرنا الى مجرد سؤال القائد أو صاحب الجاه عن انسان تردد عليه ثم انقطع .. وهذا يعطيه معنوية فى ذاته .. يعطيه أنه مذكور .. يعطيه أنه غير منسى .. يعطيه أنه اذا غاب افتقد .. هذا كله لصالح أمر الدعوة .. **(يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما فى الناس)** لأنه ربما كان انسان عنده حياء لا يستطيع ان ينقل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات نفسه أو ظروفه الخاصة فيسأل فلانا عن حال فلان .. ربما أنه كان يستحى أن يقول لرسول الله صلى الله عليـه وسلم شيئا .. **(يحسن الحسن ويصوبه ، ويقبح القبيح ويوهنه ، معتـدل الأمر غير مختلف ، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا)** لا يغفـل عن شىء مخافة أن تكون فيه أسوة بالغفلة ، وهـذا يعطينـا قاعدة أن الوالد أو الذى يتولى صدارة شىء لابد أن يحاسب نفسه قبل أن يطالب حساب الغير .. لماذا ؟.. لأنه اذا غفل من له الولاية على الأمر فى شىء فالتابع يكون فى شيئين وتابع التابع فى ثلاثة وتابع تابع التابع فى أربعة .. اذن فالعصمة تأتى هنا من أن يكون من بيده الأمر الأعلى لا يغفل عن شىء حتى لا يستغله من هو دونه ليفعل فعله .. واذا ما نظرنا الى الفساد الموجود فى أى ادارة أو أى جهة هى أن المرؤوسين أو المتبوعين يجربون على الرئيس الأعلى شيئا من النقص أو شيئا من التهاون أو عدم الدقة والاحتياط فى الأمور .. ومعنى ذلك يكونون هم كما يحبون .. ومن هنا ينشأ الفساد .. فلا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا .. **(لكل حال عنده عتاد)** أى لكل حال من الأحوال عنده قوة وميزان يعطى الحال على قدر جحمه .. **(لا يتجاوز الحق ولا يقصر عنه ، الذين يلونه من الناس خيارهم)** يلونه من الناس أى فى مجلسه .. **(وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة)** يعنى اذا جلس معه ينصحه ويقول لهذا كذا ولهذا كذا وليس لمن يغشه .. لكن اذا نظرنا فى مقاييس الحكم الفاشل

او الادارات الفاسدة نجد ان الذين يلون الناس من الناس هم الذين ينافقونهم .. هم الذين يحسنون لهم القبيح .. هم الذين يقبحون لهم الحسن .. هم الذين ينقلون الى أذن الحاكم أو الوالى اشياء غير واقعة لكى تخدم أغراضا عندهم .. ولكنه صلى الله عليه وسلم كان الذين يلونه من الناس خيارهم وأفضلهم عنده اعمهم نصيحة .. ويعنى أعمهم نصيحة هو الذى ينصح فى كل أمر يرى فيه وجهة الخير لصالح منهج الدعوة .

وبعد ذلك يتكلم سيدنا الحسين رضى الله عنه عن شيء آخر يتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم .. ويستهل هذا الحديث ان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس ولا يقوم الا على ذكر .. لأن معنى لا يجلس ولا يقوم أى لا ينتقل من حال الى حال .. أى بداية ونهاية .. معنى يجلس أنه كان قائما ومعنى يقوم أنه كان جالسا .. اذن الرسول صلى الله عليه وسلم بين قائم وجالس .. فاذا كان صلى الله عليه وسلم لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر يعنى أنه حين يكون فى أمر آخر يذكر الحق سبحانه وتعالى .. ومعنى يذكر الحق : ان يكون الذى صرفه عن القيام الى الجلوس أمر يتعلق بالله سبحانه وتعالى .. والذى صرفه عن الجلوس الى القيام أمر يتعلق بالله سبحانه وتعالى .. ومادام الله على ذكره حين يجلس اذن كل أموره دائما على ذكر من الحق سبحانه وتعالى .. بعد ذلك حينما يتكلم عن المجلس يقول : ((**لا يوطن الأماكن وينهى عن ايطانها**)) يعنى ليس لأحد مكان مخصوص .. بحيث اذا أتى لابد ان يجلس فيها .. **(فكان اذا انتهى الى قوم جلس صلى الله عليه وسلم حيث ينتهى به المجلس)** فاذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا ذهب الى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس .. يكون قدوة لكى لا يكون لأحد مكان خاص .. بحيث يحفظ له .. ان كان غائبا .. أو يقوم غيره عنه ان أقبل عليه .. **(يعطى كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب**

أحد أن أحدا أكرم عليه منه) تلك هى عدالة الرعاية .. لا ينصرف بحديثه ولا بعينه ولا بأذنه الى واحد دون الآخر .. بل يوزع هذه الحظوة على الجميع بالتسوية .. لماذا ؟.. لأنه اذا ما اتجه الى انسان ولم يتجه الى آخر .. هذا الانسان ربما أخذ منزلة والرسول صلى الله عليه وسلم معصوم .. وحينما يكون هو أسوة فهو يعلمنا أن الحاكم لا يصح له أن يوزع عنايته ورعايته على واحد خاص .. بل يجب عليه مادام أعلن لأن يدخلوا عليه مجلسه وأن يجلسوا عنده ، فعليه أن يوزع نظره .. ويوزع أذنه .. ويوزع تحيته .. ويوزع كلامه ان تكلم على الجميع .. حتى لا يعرف أحد أن فلانا خير منه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن المقاييس كما قلنا هى المقاييس الايمانية .. **(أفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأشدهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة)** .

وأيضا فان الحسين رضى الله عنه حينما تكلم عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه المسألة زاد أمر آخر بعد ما قال : **(من جالسه أو قاومه لحاجته)** يعنى أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس معه ليتكلم معه فى حاجة أو قاومه أى أخذ وهو قائم .. **(صابره حتى يكون هو المنصرف عنه)** اذن الاذن لمن ؟.. الاذن ليس له .. انتهاء المقاومة ليس له .. انهاء الوقت ليس له .. وانما هو لمن يجالسه أو لمن يقاومه .. **(ومن سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول .. قد وسع الناس بسطة وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء .. مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة .. لا ترفع عنده الأصوات ولا تقبل فيه الحلم ولا تنسى فلتاته)** هب أن واحدا قال كلمة أو فلتة صارت منه .. لا ينقل من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غيره وكأنها لم تحدث ابدا وكأنها **حذفت** .

أدبه صلى الله عليه وسلم مع جلسائه

يقول الحسين أيضا فى روايته عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم **(كان دائم البشر .. لين الجانب .. سهل الخلق)** وهذه هى الصفات العامة .. وبعد ذلك قال : **« يتغافل عما يشتهى »** يعنى ان حدث شيء أمامه وهو لا يشتهيه يتغافل عنـــه وكأنه لم يره .. لأنه صلى الله عليه وسلم يقدر نوازع النفس البشرية .. فلا يحب أن يخجل صاحب الشيء بأنه رأى منه .. (يتغافـــل عما لا يشتهى ولا يقيس منه قد ترك نفسه من ثلاث : من الرياء ومن الاكثار وما لا يعنيه .. وترك الناس من ثلاث : لا يضر أحدا ولا يعيره ولا يطلب عورته .. لا يتكلم صلى الله عليه وسلم الا فيما يرجو ثوابه) يعنى لا فضول عنده .. ان كان فى هذه الكلمة ثواب تكلم بهـــا .. **(واذا تكلم أطرق جلساؤه كأن على رؤوسهم الطير)** ومعنى على رؤوسهم الطير كناية عن أنه اذا كان فيه جماعة فكل واحد منهم يخاف أن يحرك رأسه مخافة أن يطير الطير .. **(فاذا سكت تكلموا)** هذا أدبهم مع حديثه صلى الله عليه وسلم .. ويتكلم بعد ذلك عن أدبهم عند حديث اخوانهم فيقول : « حديثهم حديث أولهم » يعنى بالدور .. ولا أحد يقاطع لمتكلم .. **(فاذا تكلم عندهم انسان لا يقطعون عليه كلامه حتى يفرغ فاذا فرغ تكلموا)** وبعد ذلك لا يتعالى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبين لهم مكانته العظيمة .. **(يعجب مما يعجبون منه .. ويضحك مما يضحكون منه .. ويصبر للغريب**

على الجفوة فى المنطق) يعنى واحد لا يعرف قدره صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك اشتد فى منطقه كان يتطلف معه ويصبر عليه حتى ان بعض أصحابه كانت أمثال هـــذه المسائل قـــد تغيظهم وقد تهيجهم ليقوموا فيقتلوه .. ولذلك لما جاء الرجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم ماعنده .. قال له : يا أخا العربأحسنت اليك ؟ . فقال : لا أحسنت ولا أجملت !! . واحد يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أحسنت ولا أجملت .. ماذا يكون موقف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه .. ثم أخذه بيده ودخل البيت وزاده خيرا مما عنده فى بيته .. ثم قال : يا أخا العرب أحسنت ؟.. قال : أحسنت وأجملت .. فبورك فيك من أهل وعشيرة .. فقال صلى الله عليه وسلم له : اذا نحن خرجنا الى أصـــحابى فقـــل عندهم ما قلته حتى ترضى خواطرهم .. فلما خرجوا قال : لقد قال أخى كذا وكذا وكذا .. فقال الرجل : نعم .. فلما هدأوا .. قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما مثلى ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت منه فتبعها أصحابه فزادوها نفورا .. فقال الرجل للقوم : يا قوم دعونى وناقتى فأنا أعلم بأمرها .. فسكتوا .. ثم أخذ يجمع شيئا من الأرض ويمدها الى الناقة .. فجاءت الناقة لتأخذ ما فى يده حتى أناخها وامتطاها .. فمثلى ومثل هذا كمثل الرجل وناقته ، ولو أنكم قمتم فقتلتموه أو صنعتم لى معه شيئا لدخلتم النار » .. هذا هو موقفه صلى الله عليه وسلم من انه يصبر للغريب على الجفوة فى المنطق .. وبعد ذلك يقول الحسين رضى الله عنه : **« وكان لا يقبل الثناء الا من مكافىء »** يعنى الذين يتطوعون بالمديح لا يقبل منهم .. أيما كلمة ثناء فقال ردا على موقف : « جوزيت خيرا » لأنه صنع كذا وتقبله .. **(لا يقبل القطوع بالثناء ويقبله من مكافىء)** يعنى من مكافىء على جميل قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وبعد ذلك يقول : « وكان لا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه هو فيقطعه بانتهاء أو بقيام » وهنا انتهى الحديث .. الا أن حديث وكيع بن أبى سفيان زاد شيئا .. أنه سأل عن سكوته صلى الله عليه وسلم فقال : « جمع له صلى الله عليه وسلم السكوت فى أربع : فى الحلم والحذر والتقدير والتفكير » أما التقدير — كما قلنا سابقا — فى تسويته النظر والاستماع بين جلسائه .. وأما التفكير ففيما يبقى وفيما يفنى .. (وجمع الحلم فى الصبر — فكأنه لا يغضبه شىء يستفذه لذاته — وجمع له فى الحذر أربع : أخذه بالحسن ليقتدى به ، وتركه القبيح لينتهى عنه ، واجتهاد الرأى فى اصلاح الأمة ، والقيام الأمته بما جمع لهم من أمر الدنيا والآخرة) صلى الله وسلم عليه وعلى آله .

* * *

المعجزات النبـــوية

للســـنة النبوية معجزات أفردت بالتأليف تحت عنـــوان : (اعلام النبوة) وهى تخبر بأشياء مستقبلة ، ليس للمخبر دخل فى وقوعها ، حتى لا يعتبر الوقوع منه افتعال لتصديقه فيمـــا يقال .

والمعجزة ليست مهمة لمن نقلت اليه ، ولكن لمن شاهدها ، لان الله أجراها على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليثبت بها ايمان من عاصره ، حتى يقوى على تحمل تبعات أولية الايمان فى عالم الكفر .

فتفجر المـــاء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم مثلا ، **واشباع العدد الكثير بالقليل من الطعام** ، كل ذلك مقصود به من شاهد هذه الوقائع . أما من لم يشهدها ، فان اتسع ظنه لحصول ذلك على يديه صلى الله عليه وسلم ، فبها ونعمت ، ومن لم يتسع ظنه لذلك ــ بسبب ما قد يراه خللا فى الأسانيد ــ فحسبه معجزة القرآن الباقية الخالدة ..

والذى يعطينا اليقين فى اعجازات النبوة ، هو ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أكده مستقبل الزمن الآتى بعد القول .

فمثلا حين يخط الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر على الارض مكان مصرع كل واحد من صناديد الكفار ، ثم تدور المعركة ، فليس لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا لأتباعه — قوة تستطيع أن توجد المقتول فى المكان الذى رسمه صلى الله عليـه وسلم ، لأن المعركة كر وفر بدون اعـداد سابق ثم يحدث وأن تأتى مصارع القوم فى أماكنها التى حددها الرسول صلى الله عليه وسلم !.

ولنتناول بتفصيل اكثر قصة سرية مؤتة ، حينما اخبر صلى الله عليـه وسلم بتتابع الثلاثة : زيد بن حارثة ، وجعفر ابن ابى طالب ، وعبد الله بن رواحه ، وقال : ان قتل زيد فالأمير جعفر فان قتل ، فعبد الله بن رواحة . فان قتل ، فليرتض المسلمون رجلا من بينهم .

والذى يعنينا فى هذه الغزوة ، ما اخبر صلى الله عليه وسلم — وهو بالمدينة — حين نادى فى النـاس : الصـلاة جامعة ، ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان ، وقال : أيها الناس ، أخبركم عن جيشكم هذا الغازى ، انهم انطلقوا فلقوا العـدو فقتل زيد شهيدا ، فاستغفروا له .. ثم اخذ الراية جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا ، فاستغفروا له .. ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحـة واثبت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ، ثم اخـذ اللواء خالد بن الوليد ..

كل ذلك ولم يكن احـد قد عاد من الغزوة ، والا لوجـد المشركون — فى رد هذه المعجزة — دليلا على انه اخبر بعد أن ابلغ من بشر ، ولما قدم يعلى بن أمية رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم وهو اول وافد بخبر الجيش .. قال له النبى صلى الله عليه وسلم : ان شئت فأخبرنى . وان شئت اخبرتك . قال : فأخبرنى يا رسول الله لأزداد يقينا . فأخبره رسول الله

صلى الله عليه وسلم الخبر كله ، ووصف له ما كان . فقال : والذى بعثك بالحق ، ما تركت من حديثهم حرفا واحدا . وان أمرهم لكما ذكرت .

من اعلامات النبوة أيضا : **قوله صلى الله عليه وسلم لجابر بن عبد الله (جذ .. واقض)** وذلك أن جابر قد اقترض مالا من يهودى — وكان ميعاده حين جنى ثمر البلح ولكن نخل جابر لم يثمر فى هذا العام — فقال صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله سل اليهودى أن ينظر جابرا لان نخله خاس هذا العام — يعنى لم يثمر — فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهودى أن ينظر جابرا . فقال : لا يا أبا القاسم ..

فذهب الرسول صلى الله عليه وسلم الى نخل جابر وسار خلاله وذلك فى قصة طويلة — ثم قال : يا جابر (جذ .. واقض) — أى أجن الثمار وسدد ما عليك .

فذهب جابر فجذ وقضى .. ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا مستبشرا ، واخبره بما كان . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : أشهد أنى رسول الله .

فقوله جذ واقض ثقة منه فى أن الله لن يخذله فيما انطقه به ، والا لما جازف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه بكلمة قد لا يصدقها الواقع ..

ومن أعلامه صلى الله عليه وسلم ، ما حدث فى غزوة الحديبية ، حين انتهى أمر المفاوضات الى أن يتفاوض عمرو ابن سهيل عن قريش مع الرسول صلى الله عليه وسلم .. وحين كتابة العهد ، قال صلى الله عليه وسلم لمن يكتب : اكتب هذا

ما تعهاهدنا عليه : محمد رسول الله قال عمرو : لو كنا نشهد انك رسول الله ما وقفنا منك هذا الموقف . فأصر عمرو الا توجد هذه الصفة وأصر على بن أبى طالب ــ وهو الكاتب ــ أن يكتبها حينئذ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى : اكتب ما يحب . اكتب عبد الله . فلم يقبل على ــ فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم ستسام مثلها ــ أى ستتعرض لمثل هذا الموقف ــ فتقبل . ثم توفى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانتهى أمر الخلافة لعلى . وكان ما كان بينه وبين معاوية بن أبى سفيان فى يوم صفين . فلما ارادوا ان يكتبوا عهدا ، قال على لمن يكتب : اكتب هذا ما تعاهد عليه بن ابى طالب أمير المؤمنين ، فقيل له : لو صدقنا انك أمير المؤمنين ، ما حدث بيننا وبينك هــذا ولكن انزعها من العهــد . فنزعها ..

وذلك مصداق لكلام الرسول صلى الله عليه وسـلم لأنه لا ينطق عن الهوى .

* * *

شبهات أثارها المستشرقين والرد عليها

أثار بعض المستشرقين اباطيل بهدف التشكيك فى الرسالة النبوية الشريفة ، ومن هذه الأباطيل :

١ — ما أثاروه عن صلته صلى الله عليه وسلم بزوجاته وقد رأى بعضهم أن فيها نوعا من الخروج على مألوف الناس أو نوعا من الاستمتاع والانشغال بهذه المتعة عما فى الحياة الروحية التى قامت دعوته على أساسها ، كذلك علاقاته بزوجاته .

٢ — بعض الآيات التى عاتب فيها الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم هل هذه تنتقص من الكمال النبوى وكمال المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟..

٣ — قوله : ((**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم**)) وقوله : ((**فلو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول**)) والرسول اليوم ليس معنا .. فكيف يستغفر ؟.. وهل معنى ذلك انه لا مجال للاستغفار ؟...

* * *

شبهة تعدد الزوجات

ما يقوله المستشرقون ويروجونه وفتنتهم بالاستشراق دليل على رقة الدين عندهم .. هم يريدون ان يجدوا لأنفسهم شيئا مبررا ، هذه المسألة نبحث فيها مع مسلم لتثبيت اسلامه ومع غير المسلم .. لو كنا نريد أن نبحث مع غير المسلم فانا لا نبحث معه فى جزئيات تتعلق بالرسول لأنه هو مؤمن بأنه غير رسول .. وما دام هو مؤمن بأنه غير رسول فماذا يضيره أن يكون ذلك الرسول سلوكه كذا وكذا وكذا !!.. ولكن ليأتى معى نبحث فى رسالته أولا فان اقتنع بأنه رسول فبعد ذلك لنا ميزان آخر .. لأن انا آمنت بالرسول بواسطة المعجزة التى جاءت على يده فأصبح الرسول عندى هو الحكم فى كل كمال .. لا آخذ تصرفا من الرسول ثم انصب أنا ميزانا من موازين الكمال أضعه لأقيس تصرفات الرسول عليه لأقول هذا يليق وهذا لا يليق .. لأن الأصل أن يكون فعله هو الكمال وهو المقياس .. اما أن اضع انا مقياس كمال واقول : تعالى يا محمد يا ابن عبد الله يا من بعثت رسولا لكى اقيس تصرفاتك على الميزان الذى اضعه !!.. فهذا لا يمكن أبدا .. اذن فالأصل ان الرسول مادام ثبت عندى انه رسول صادق فى التبليغ عن الله ففعله هو الميزان .. وبعد ذلك نأتى : لماذا يتهرب الناس الذين يتكلمون فى الزوجات من موقفهم من الله الى موقفهم من الرسول ؟.. محمد صلى الله عليه وسلم لم يتزوج وانما زوج ..

اذن المفروض أن يصعد الخلاف فى المسألة الى الله وليس لمحمد لأن الآية تقول : ((**عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن**)) فكأن ربنا هو الذى يطلق لمحمد .. وهو الذى يزوجه .. وآية امرأة زيد بن حارثة ((**فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها**)) فمن الذى زوج ؟.. الذى زوج هو الله .. اذن محمد منفعل .. وليس فاعلا للعملية .. فمن يريد أن يبحث .. عليه أن يصعد المسألة الى الله تعالى ويقول : لماذا فعل ربنا هكذا ؟.. ثم الذين يبحثون هذا البحث نقول لهم : تعالوا مادام أن المسألة احصائية .. هل الرسول وسع عليه أم ضيق ؟.. صحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم كان جامعا لتسعة .. ومن كان جامعا لأكثر من أربعة من أصحابه قال له : ((امسك أربعا وفارق سائرهن)) .. لكن هو لم يفعل هـذا فى نفسه .. لماذا ؟.. كان يجب أن يسأل لماذا ؟.. فيقول له : هؤلاء بخصوصهن مطلوبات .. بدليل أننا لو بحثنا لوجدنا الاباحة فى المعدودات لا فى العدد .. وهناك فرق أن يكون المباح المعدود والمباح العدد .. المباح المعدود .. يعنى أن يكون عددهن تسعة بحيث اذا ماتت واحدة أو طلقها فعليه أن يأتى بواحدة غيرها .. هذا يكون لو أبيح له العدد .. وانما الذى أبيح له معدودات بحيث اذا نقصت واحدة فليس له أن يأتى مكانها واحـدة .. وليس له أن يستبدل واحدة مكان أخرى ((**لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبـك حسنهن**)) .. اذن نتكلم عن المعدودات لا عن العدد ، بدليل أنه لم يكن هناك نسق عاطفى فى كل هذا الزواج .. الرسول صلى الله عليه وسلم فى سن الخامسة والعشرين تزوج خديجة وكانت فوق الأربعين .. وبعد أن ماتت تزوج سودة بنت زمعة ، فما حظ سودة بنت زمعة من جمال يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟.. لقد كان زواجا لأجل الخدمة فقط .. ثم تزوج عائشة وهى بنت ست سنوات لدرجة أنها لم تدخل عليه الا بعد ثلاث سنين لكى تكون مهيأة لبيت

الزوجية .. مع انه قيل انه لم يدخل بها الا فى سن الخامسة عشرة .. وبعد ذلك نجد ان أم سلمة صاحبة عيال .. والخامسة .. وغيرهن .. كل واحدة لها قصة .. اذن فالاستثناء هنا لامعدودات لا للعدد .. وكان يجب أن نخضع لهم لو أن ذلك عدد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأزواج .. نقول : لا .. هذه معدودات رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأزواج وايضا فان اى صحابى كان عنده أكثر من أربع أمسك أربعا وفارق سائرهن .. المفارقة هذه ستجد لها من يتزوجها .. ولكن هؤلاء أمهات المؤمنين .. فماذا قلنا : يا رسول الله امسك اربعا وطلق خمسا فأين يذهبن ؟.. وأمهات المؤمنين لا يحل لأحد أن يتزوج منهن .. اذن فهذه بخصوص هؤلاء .. وهناك أيضا نظرة عاطفية أخرى حيث نجد أن فى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت تهب قسمتها لعائشة .. امرأة تهب قسمتها لضرتها !!.. ما مدلول ذلك ؟.. انها تفطن جيدا لماذا تزوجها رســـول الله .. انه تزوجهـــا ليعطيها نيشانا بأنها أم المؤمنين فقط .. ومادام ليعطيها نيشان أم المؤمنين فقط فهى مدركة انها لا تغنى الرجل فى مثل هذه المسائل .

وبعد ذلك نأتى الى ما استنبطه المرحوم مصطفى صادق الرافعى فى أن نساء النبى كبشريات اجتمعن عنـــده لكى يسألوه النفقة عندما رأوا عنده أشياء أخذها من بنى قريظة وأموالا أخذها من اليهود فأردن أن يكون هذا المال سببا فى رفع مستواهن .. فلما اجتمعن يسألنه النفقة أنزل الله تعالى قوله : ((**يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا**)) لو أن النسق العاطفى موجود أو الاستمتاع موجود لأحضر لهم ما يتزين به ويرفهن وينعمن به .. ولكن قال لهم : ان هذه مسألة مقطوع منها ولا كلام فيها ((**ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا**)) .

وبعد ذلك يعطى المنهج النبوى : **« وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما »** .. وهذا لا يتفق مع الاستمتاع ، اذن فالمسألة هذه اذا كان يبحثها مسلم نقول له : لا تضع انت أيها الأخ المؤمن برسول الله وبصدق تبليغه عن الله معيارا من معايير الكمال .. ثم تأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقول تعالى لأعرض تصرفاتك على المعيار الذى أضعه .. والا بذلك نكون أحللنا ونقلنا المعيار من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتصرفه الى أتباعه .. هذا من ناحية المسألة الأولى .. أما عن قوله صلى الله عليه وسلم **(حبب الى من دنياكم الطيب والنساء)** حبب أى لم احب .. فهو لم يقل أحببت حتى ينصرف الأمر الى أن هذه من غريزته ، فحبب الى كأنه أمر تكليفى عابه عليه من جعل الحب فى قلبه .. وحبب الى من دنياكم يعنى لست فاعل هذا الحب مثل (زوجناكها) تماما .. فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجب أن نأتى تصرفاته ونقول كان يصح كذا أو لا يصح كذا .. وانما الأصل أن نقول : فعل أو لم يفعل ؟.. فعل .. فهذا عين الكمال .. وكونى لم أفهم هذا الكمال فهو موضوع آخر .

***

شبهة العتاب

اما موضوع العتاب : فان المستشرقين اتخذوها أرضية لكى ينشروا اعتراضاتهم التى يشككون بها فى القرآن الكريم .. مثلا يقولون : ان هناك آية فى القرآن تقول عن الرسول : ((**ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى**)) مادام أنه لم ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى .. ساعة نطقه بما عدل الله له .. فعن اى شىء نطق ؟.. ساعة نطق بالأمر الذى عدله الله له فيما بعد أو عتبه عليه .. هم لا يفرقون بين النطق عن الهوى .. والنطق بالوحى .. أى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلم كلمة وعنده من الله وجه الحق فيها ثم هواه الشخصى يلفته عما عنده من الله .. فلان ما ينطق عن الهوى : ليس معنى ذلك أن يسارف الحقيقة انما المهم عنده انه لم تكن عنده الحقيقة متضحة قبل ان ينطق ثم عدل عن الحقيقة ليخدم هوى فى نفسه .. هذا معنى ما ينطق عن الهوى .. هو عندما كان يجتهد الرأى لم يكن عنده حكم قاطع فى المسألة من الله ثم زين له هواه ان يخالف .. اذن ما ينطق عن الهوى .. يعنى نطق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عما انقدح فى نفسه من الحق .. ولم يكن هناك حق معلوم له من الله ثم صرفه هواه عنه .. وهذا معنى كونه ما ينطق عن الهوى .. ثم الذين يأخذون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عدل له أو عتب عليه :

أولا : نقول لهم ها هو رسول وبشر .. ومن عدل له أبشر مثله أم ربه ؟.. وأى استنكاف من بشر فى أن يعدل له ربه منهجه !! فان المعدل هو الله وليس انسان مثله .. ولماذا لا نأخذ بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عن نفسه : « يجد على فأقول أنا لست كأحدكم ويؤخذ منى فأقول ما أنا الا بشر مثلكم » فكأن الرسول بتجريده عما يوحى اليه يصح أن يكون منه كذا ويصح أن يكون منه كذا .. ولذلك واحد يقول : ووجدك ضالا فهدى .. فكيف كان ضالا فهداه ؟.. فنقول : ما هو الضلال ؟.. ابحث عن معنى الضلال .. الضلال هو الا تصل الى منطقة الهدى .. وصولك الى منطقة الهدى عنده فرعان : الأول : أن تكون عالما بمنطقة الهدى ولا تزال غيا ، والثانى : الا تكون عالما بها .. يقال فلان ضل الطريق .. معنى ضل الطريق : أكان عارفا بالطريق الصح ثم بعد ذلك تعمد أن يذهب الى الطريق الغلط ؟.. أم لم يكن عارفا الطريق أصلا ؟.. الرسول صلى الله عليه وسلم قصارى ما كان عنده أنه لا يعجبه طريق قومه لا فى توجههم لآلهتهم ولا فى سلوكهم .. انما ما هو المنطق .. المنطق والخط الذى يجب أن يسير عليه ؟.. فقال له ربه : انك كنت متضايق لا تعرف الطريق وانا هديتك للطريق .. اذن فليس معنى ذلك انه كان عنده منعة حق ثم خالفه فيقال انه ضل .. اذن فنحن نقول له : هو ما ينطق عن الهوى صحيح .. يعنى أن كل ما صدر من حكم منه لم يكن فيه بلاغ عن الله .. لم يكن يعلم وجه الحق فى شىء ثم جعل هواه يعدل الى شىء آخر .. بل محمد ملكه الدليل على أن هذا هو الحق .. وبعد ذلك ننظر نظرة أخرى فنقول : الأشياء التى عاتب الله فيها رسوله : أعاتب عليه أم عتب عليه لصالحه ؟ .. أمثلة : الرسول صلى الله عيله وسلم عندما غضبت بعض نسائه من أنه عمل كذا فحرم على نفسه بعض ما أحل الله .. الخطر كل الخطر فى أن يحلل ما حرم الله ..

انما هو حرم على نفسه ما احل الله .. ومن الممكن ان اى فرد يرفض اكل طعام معين .. اى حرمه على نفسه (كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه) .. الذى حرم على نفسه ضيق على نفسه أم وسع ؟.. بالطبع ضيق .. اذن العتاب من الله لصالح **محمد وليس عليه** .. يقول له : لماذا تضيق على نفسك ما وسعه الله لك ؟.. فهذا عتاب عليه صحيح انما الأمر يتعلق به أم يتعلق بالغير ؟.. هذا أمر يتعلق به .. فهذه يجب أن تكون فى ميزان له لا فى ميزان عليه **((لم تحرم ما أحل الله لك))** .

* * *

قصة ابن مكتوم

بعد ذلك نأتى لموضوع آخر .. موضوع الأهون .. موضوع ابن أم مكتوم .. وهو من المواضيع التى تكلم فيها المستشرقون بحجة النيل من اعجاز القرآن .. وصدق الرسالة .. تعالى يا اخى : الرسول صلى الله عليه وسلم ترك ابن أم مكتوم وهو الأسهل الى الأصعب .. ابن أم مكتوم يريد أن يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم اسئلة جوابها سهل عنده صلى الله عليه وسلم فى الوقت الذى يتكلم فيه مع ناس عندهم خصومة وجدب .. اذن الرسول صلى الله عليه وسلم انتقل من الأسهل على نفسه الى الأصعب .. فعتاب ربنا عليه هنا هو لماذا فعل هكذا ؟.. (وما عليك الا يزكى) .. فكأن الرسول صلى الله عليه وسلم وضع نفسه فى موضع صعب من صناديد قريش بأن يقيم عليهم الحجة و .. و .. و .. الخ .. فكأنه اعتقد أنهم ان لم يهتدوا فعليه وزر . فقال له : لا وزر عليك .. يعنى لماذا تكلف نفسك الأمر الصعب فى الدعوة وانت عليك البلاغ فقط وتترك الأمر السهل .. اذن فالعتاب لصالحه أم لغير صالحه ؟.. خذها من ناحية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك امرا كان سـهلا عليه جدا ولا يكلفه عنتا ولا يكلفه مشقة ثم ذهب الى أمر آخر يتطلب عنتا ومشقة .. ثم ينظر الى الحيثية .. الحيثية أن هؤلاء الذين تصدى لهم الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرى أنهم لو اهتدوا فلا اقل من أنهم لن يفتنوا المؤمنين .. ولا اقل من أن يؤمن اتباعهم .. فالأمر لصالح الدعوة بمشقة على

نفسه .. اذن فعتب الله عليه فى قوله : ((**عبس وتولى • أن جاءه الأعمى • وما يدريك لعله يزكى • أو يذكر فتنفعه الذكرى • أما من استغنى • فأنت له تصدى**)) ثم قال : ((**وما عليك ألا يزكى**)) يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحمل نفسه على الأمر الشاق ويترك الأمر السهل فالله عتب عليه .. تماما كما لو دخل الانسان منا على ابنه مثلا فوجده يذاكر فى اليوم عشر ساعات أو عشرين ساعة فيعاتبه .. ولكن لماذا يعاتبه ؟.. هل لأنه قصر أم لأنه حمل نفسه أكثر مما يطلب منه ؟..

* * *

أسرى بدر

ثم ننظر الى هذه الامور من ناحية أخرى ... فهى تدل على أمانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التبليغ عن ربه .. فهو ينقل الينا أمرا يتعلق بحكم عاتبه الله فيه ... وبعد ذلك انتهى أمر العتب الى نسخ حكم عمل الرسول أم تأييده ؟ .. ولنضرب لذلك مثالا بأسرى بدر (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض) وفى تفسير هذه الآية قيل أن الرسول صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه وكل منهم كان له رأى ... فعمر رأى رأيا وابو بكر رأى رأيا ... وعبد الله بن رواحة رأى رأيا وغيرهم ... ثم أخذوا برأى معين وعملوا به ... وفى اليوم التالى دخل عمر على الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر فوجدهما يبكيان ... فسألهما ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : أبكى للذى كاد أن يصيبنا .. هنا قال هؤلاء المشككون : ان القرآن جاء مخطئا — حاشاه — رسول الله صلى الله عليه وسلم ... لكننا نطرح الرواية والتفسير على ذلك : هل عدل الخطأ أم أقره ؟.. لم يعدل الخطأ ... الله سبحانه وتعالى احترم الظروف المرجحة لأخذ هذا الرأى .. وبعد ذلك قال : **(لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)** فالحكم لم يتغير ... ومعنى أن الحكم لم يتغير — ومع ذلك قال لنا ذلك — أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مبلغا أمينا .. لو أن الحكم كان قد تغير نقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطر

ان يذكر هذه الحكاية لانها حيثية تغيير الحكم ...فكان فيه راى بأخذ الفداء .. والآخر بقتل الاسرى ... ثم رجح اخذ الفداء . وبعض المفسرين يقول : سبق فى علم الله تعالى انه سيبيح لهم اخذ الفداء ، ولكن (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض) .. يعنى كان المفروض ان تنتظر الى أن ينزل الحكم .

* * *

حكاية زيد ابن حارثة

ولذلك فان الحق سبحانه وتعالى ساعة أن يأتى باستدراك على حكم قاله صلى الله عليه وسلم ببشريته يعبر عنه التعبير الدقيق ... مثلا زيد بن حارثة لما جاء أبوه وعمه وعرفا أنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادا أن يأخذاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيره : اما أن يذهب مع أبيه واما أن يظل معه ... فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الذى اختار رسول الله على أبيه كيف يجازيه رسول الله ؟ .. سماه زيد بن محمد ... شرف كبير لزيد بن حارثة أن يكون زيد بن محمد ... وبعد ذلك أراد الله أن يبطل مسألة التبنى فقال : **(ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله)** تعبير دقيق .. كلمة أقسط ... فكأن ما صنعته يا محمد قسط عدل ولكن نريد ما هو أعم وأسمى من هذا ... اذن فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يتخول أن يأتى الأشياء على مقتضى العدل ... فهذا ببشريتك ، ولكن عندى مسألة أعم تعم زيد بن حارثة وغيره ... مبدأ اسلامى وهو **(ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين)** يعنى بعد أن كان زيد بن محمد أصبح مرة أخرى زيد بن حارثة ... وهذا بالنسبة لزيد نكسة .. لكن الله سبحانه وتعالى لم يفجعه هذه الفجيعة لكى يطبق مبدأ عاما ... زيد ابن حارثة يقول : أنا كنت خادم شرف .. لكن بسبب تطبيق هذا المبدأ العام ... أرجع من زيد بن محمد الى زيد بن

حارثة !! ... فيقول له الله لـكن سـوف أعطيك نيشـانا من عنـدى فوق ما أعطاك محمـد .. فاذا كان محمـد أعطـاك شـيئا فرب محمد سيعطيك ما هو خـير مما أعطـاك ... زيد ، هو الصحابى الوحيد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يذكر اسمه فى القرآن الكريم متلوا ... ويتعبد بتلاوته .. **(فلما قضى زيد منها وطرا)** !! .. بعد أن كان زيد بن محمد أصبح اسمه كلمة فى القرآن نقرؤها ونتعبد بها ... فهل أخذ شرفا أم لم يأخذ ؟ ... اذن نخلص من هذا فنقول : الرسول صلى الله عليه وسلم حينما يكون بصدد أمر ليس عنده حكم فيه يتخيله فيختار الأصلح فيصنعه .

اذن فقوله سبحانه : **(عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين)** ... الحق سبحانه ساعة أن قدم كلمة العفو .. فهذا معناه قطع كل شىء .. معنى عفا الله عنك كما نقول فى عرفنا ان المسألة منتهية ... لا شىء فيهـا ... لكن ربنا يقول لرسوله هذا الكلام ليعلم أناسا آخرين ليس عندهم وحى ... فالرسول ربه سبحانه وتعالى هو الذى يعدل له ان اخطأ مثلا .. لكن غير الرسول من يعدل له ؟ .. اذن لابد أن كل واحد يعمل المسائل عن بيان .. حتى يتبين لك .. اذن العلة فى مثل هذه المسألة حتى يتبين لك الذين صدقوا . فهذا وجد له من يصحح له ، لكن أمثالنا وأمثال خلفائه وأمثال أتباعه لا يوجـد من يصحح لهم .

أما عن قوله تعالى :**(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)** وقوله : **(ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما)** فنقول : الرسول صلى الله عليه وسلم كما قلنا هو مسك الختام

فى البلاغ عن الله .. مادام مسك الختام فى البلاغ عن الله ، فالحق يعلم أزلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم ستأتى دعوته وأمته ستكون آخر الأمم التى عليها بعث الساعة وأنها الأمة التى يبلغ فيها العقل البشرى نضجه وتفتحه وطموحه واكتشافاته ... الخ . والعقل البشرى هو وان كان الميزة التى ميز الله سبحانه وتعالى بهـا الانسان .. الا أنه ايضا الخطر الذى يصـاب من ناحيته الانسان !! .. لمـاذا ؟ ... لأن العقل البشرى يفتن .. وساعة ان يفتن يريد أن يعطن لنفسه أكثر من مجاله .. ولو أنه كما قلنا أن العقل البشرى يبحث أول ما يبحث فى أن يعقل مهمته .. ويعلم انه آلة ادراك .. والعين آلة ادراك ــ فكما أن العين لها مجال فى أن ترى والأذن لها مجال فى أن تسمع كذلك أنت لك مجال فى أن تفعل ... فالعقل البشرى كلما قدم طموحه واكتشافاته لأسرار الكون ازداد بنفسه غرورا ... هذا الغرور مردود بشىء واحد هو أن ما يعتبره العقل البشرى شيئا يؤدى الى غروره كان يجب أن يجعله شيئا يعرف به قدره ... لأن معنى أن واحدا اكتشف شيئا اليوم أنه كان عاجزا عنه بالأمس ... اذن اكتشافات العقل ليست دليلا على قدرته وانما هى دليل على عجزه .. فلو لم يكن عاجزا بالأمس ما اكتشف اليوم . لو انك أيها العقل صالح لادراك حقائق الأشياء الأدركتها دفعة واحدة لمجرد وجودك ... فهذا الانسان بعقله هذا كلما تقدم فى كشفه لحقائق الكون كلما بعد عن فطرة التدين ... ولنضرب لذلك مثلا ونقول : كان الناس حينما لا يجدون ماء لزرعهم ومواشيهم وأنفسهم .. ماذا كانوا يصنعون ؟ .. كانوا يفزعون الى الاستسقاء .. لانه لا بديل عن ذلك . أما الآن اذا لم نجد المـاء نتحايل فربما كانت هناك ماسورة بها كسر أو أن اجهزة الضغط بها عطل أو .. أو .. الخ .. اذن أصبح فيـه وسائط من نشاطات العقل أبعدتنا .. فالوسائط بيننا وبين الفزع خزان لتخزين الماء فيـه مدة طويلة .. ولكن لو لم يكن العقل

قد جاء بهذا الخزان وعمل الأوانى المستطرقة و .. و .. الخ .
فكان بمجرد امتناع المـــاء **فزعنا الى الله .. اى أننا نبعد** عن الايمان بقدر عطاء العقل وهذه كارثة ... وأنه من المفروض كلما اكتشفنا سرا من أسرار كون الله تعالى فى **الوجود أن نزداد** بالله تعلقا .

● الا يمكن أنه بعد أن يبعد بنا العقل عن الايمـــان بمقدار ما يحقق من مكاسب ثم يقف عاجزا أن يجعلنا أشد ارتباطا بالله ؟

اذن كان ولابد أن تكون الدعوة التى ستعاصر وثبات العقل فى الابتكار دعوة **دسمة مقابل هذا ..** فدعوة الرسول هذه عظيمة لأنها ستوالى العقل المتطور .. العقل الواثب .. ولذلك فان الحق سبحانه وتعالى لا يعطى عطاءه فى كتابه دفعة واحدة .. والا لو أنه أعطى عطاءه فى كتابه للقرن العشرين فقط ثم بعد ذلك يأتى القرن الثلاثون فماذا يكون فيه من عطاء الله ؟.. فينبغى اذن أن يعطى الكتاب الكريم أسرار الله المودعة فيه بأقدار على قدر ما يناسب طموح العقل .. واذن سيظل عطاء القرآن الى أن تقوم الســـاعة بحيث يجعلنا هذا العطاء نتحقق من قوله تعالى : **(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم الحق)** ... وبعد ذلك حينما يأخذ العقل قمته ولم يعد فى كونه سرا حتى يبحث العقل عنـــه فيقول : **(أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا)** .

اذن فالرسالة المحمدية جاءت ويعلم الحق أنها موقوته وعلى ميعاد مع وثبة العقل الطموحية فى الابتكار .. لو لم يكن فى هذه الرسالة ما يقابل هذا لبعد الناس عن منطق الله .

والنقطة الاخيرة هى المنفرة ... الرسول صلى الله عليه

وسلم خاتم وآخر أذن تستقبل رسالة السماء (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا**)•ولا يأتى بعد ذلك رسول ... اذن فالرسول هو منول الفتح الى الله .. والفتح الى الله يعطى خير الله .. لكن الانسان لا يستقبل الخير دائما باليقظة المطلوبة له فتغفل نفسه .. فالرسول مع ذلك يقول : أنا آخذ بيدك لأرجعك الى الفتح .. اذن فالحق سبحانه وتعالى جعل ميزان المؤمن فى الحكم على ايمانه يتصل بالرسول صلى الله عليه وسلم (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**) .. اذن فهذا ميزان الايمان .. اذا أردت أن أعرف مرتبتى من الايمان فانظر موقفى من الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه المسألة .. وكلمة (يحكموك) .. لماذا لم يقل يحكموا الله ؟ .. لان الرسول هو الذى ينطق عن الله ولكن فيه أحكام كثيرة الرسول صلى الله عليه وسلم قالها هو فلا نستطيع أن نقول فيها قال الله فيها كذا ... اذن فمعنى (يحكموك) أى فيما بلغته عن الله وفيما استنبطته أنت من نفسك واجتهدت فيه .. ولذلك تجد أن آيات القرآن الكريم فى مسألة الطاعة مرة تقول : (**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ، فيكرر الأمر .. ومرة يقول : **أطيعوا الله والرسول**) .. ومرة يقول : (**أطيعوا الرسول**) .. لماذا ؟ .. لان فيه أمور اشترك فيها الرسول مع الله ، وأمور جاء الله بها اجمالا والرسول فسرها ، قلنا هنا طاعة وهنا طاعة وأمور لم تأت عن الله ... اذن عندما يقول : (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك**) وهو لا يحكم الا بما تلقاه عن الله أو بما اجتهد فيه توفيقا ووافقه الله سبحانه وتعالى عليه ، وبعد ذلك نأتى فى مسألة الذنوب .. اذن فهو أخذنا من مقام الفتح الايمانى وبعد ذلك يأخذ أيضا فى مقام الأوبة الى الله .

* * *

الرسول صلى الله عليه وسلم أعاد

« انسجام الانسان مع الوجود كله »

واذا أردنا أن نتعرض لتقييم الحق لرسوله صلى الله عليه وسلم وجدناه حين يخاطب جميع الرسل يخاطبهم مباشرة فيقول : **(يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك)** ... **(يا نوح اهبط بسلام منا)** .. **(فلما أتاها نودى يا موسى انى أنا ربك)** .. **(يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله)** ....

ولكنه سبحانه وتعالى حينما يتوجه بالخطاب الى حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم ... لم يقل يا محمد ... ولا يا أحمد .. انما قدم بين يدى ندائه قوله : **(يا أيها النبى ...)** .. ذلك أمر يرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أقرب المكانات من ربه .

ونجد الحق سبحانه وتعالى حين يقسم على أشياء ليؤكدها يقسم بأشياء كثيرة من أجناس شتى ... فيقسم بالجماد ... ويقسم بالنبات ... ويقسم بالحيوان ... ويقسم بالملائكة ... ولكننا لم نره اقسم ببشر مطلقا الا برسوله صلى الله عليه وسلم حين يقول : **(لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون)** اى : وحياتك ... يا محمد .. فكأن عمر رسول الله وحياة رسول الله أمر له مقامه عند ربه .

واذا كان الناس حين يمدحون انسانا بحسن الخلق .. ونبل الصفات .. وجمال الخلق .. فانهم يمدحونه لأنهم عرفوا الصفات وقيموها ببشريتهم .. وتقييم البشر للأشياء خاضع لعلمهم بهذه الاشياء .. فان الحق حين يقيم الخلق على أرفع مستوى خلقه فى الانسان فيقول : (**وانك لعلى خلق عظيم**) فحين يقول الحق سبحانه وتعالى ذلك الخطاب لرسوله ، فليس المقصود هنا الخلق المتواضع عليه عند البشر .. . لكن الخلق المطلوب لله ورسول الله اجتاز هذه المنزلة فكان صاحب الخلق العظيم بتقييم الله العظيم .

والحق سبحانه وتعالى حين يريد هدى الى خلقه يرسل لهم رسلا .. والرسل يأتون بمنهج الله الى الناس ... ولكن المنهج يفيد الناس فى حركاته ... والناس يألفون دائما شهوات أنفسهم .. فتطرأ عليهم الغفلة فينسون شيئا من المنهج ... وحين ينسون يأتى المجتمع لينبههم الى ذلك .

اذن فالانسان قد يكون أوابا الى ربه حين تكون نفسه لوامة . ولكن قد تأتى عليه فترة من الزمن فلا تلومه نفسه فعلى المجتمع حينئذ أن ينبهه الى نفسه وأن يعيده الى رشده ليهديه ... فاذا ما فسد المجتمع .. فماذا يكون الموقف ؟ .. لابد أن تتدخل السماء مرة ثانية لتأتى بالمنهج الجديد ... ولابد أن يكون على لسان رسول جديد بمعجزة جديدة ... ولكن الله سبحانه وتعالى قد شاء أن يختم الرسالات برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يأت نبى بعده .

اذن فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الخاتم .. ومعنى الخاتم : أن الله أودع فى أمته خصيصة .. تقوم مقام تعدد النبوات .. وتعدد الرسالات ..

اذن فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الخـــاتم لرسالات السماء .. ولهذا أن تكون فى رسالته عناصر البقاء ... وفى أمته عناصر الحفاظ على هذه الرسالات ... ولذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((**الخير فى وفى أمتى الى يوم القيامة**)) .. ولكن الخير حين يكون محصورا فيه . فمحمد صلى الله عليه وسلم أهل لأن يتلقى كمالات متعددة ... ولكن الأمة لا يستطيع فرد منها أن يأخذ الكمال المحمدى ... فالخير فيه صلى الله عليه وسلم بأجمعه وكله ، .. ولكنه فى أمته موزع ... فواحد يأخذ منه صفة .. وثالث يأخذ منه صفة بحيث اذا تجمعت صفات الكمال فى أمته صلى الله عليه وسلم أمكن أن يكون النموذج الشائع فى أمته كلهـــا .

جاء الرسول ليعيد انسجام الانسان مع الوجود كله .. أى الوجود بجماده ونباته وحيوانه ... وكل هذا مسخر لله ، فلا يمكن أن يصدر عنه شىء الا بمراد الله منه .. ولكن الانسان نفسه هو الذى جاء منه الطائع .. وجاء منه العاصى .. ولذلك يعرض الحق هذه القضية فى عدم انسجام الانسان مع الوجود الخاضع .. الساجد .. الخاشع .. فيقول تعالى : ((**الم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ..**)) تلك هى أجناس باجماع ساجدة ... خاضعة لله .. ولكنه حين جاء عند الانسان لم يأت ذلك الاجماع فقال سبحانه (**وكثير من الناس**) (**وكثير حق عليهم العذاب**) وكان المفروض أن ينسجم الانسان مع الوجود كله .. فيكون خاضعا لمنهج الله كما أن الوجود كله خاضع لمنهج الله .. ويأتلف معه .. وينسجم معه . ولا ينسجم شىء من الوجود مع الانسان الطائع .. أما الانسان العاصى فهو يشكل شقاقا بينه وبين أجناس الوجود : وجود ساجد .. مسبح .. خاشع .. وانسان متمرد عاص !!.

حين يأذن الله سبحانه وتعالى ليعيد للانسان بمنهج الله انسجامه مع الوجود .. فلا بدعة اذن أن يفرح ذلك الوجود بمن يعيد اليه انسجام الانسان معه .. وذلك هو الشأن معه صلى الله عليه وسلم ... جاء ليعيد انسجام الانسان مع الوجود كله ليأتى بالمنهج النهائى لهدى الانسان .. ليكون الانسان خاضعا لبقية اجناس الكون لله تعالى ... اذن فلا عجب أن يفرح به الوجود من جماد ونبات وحيوان ... ولا عجب أن تفرح به الملائكة .. ولا عجب أن يفرح به طائع الجن ..

فاذا حدثنا أن ميلاده صلى الله عليه وسلم قد قرن بأشياء حدثت فى الكون من ارهاصات فى الوجود كله بميلاده ... فيجب علينا الا نستبعد ذلك .. لأنه هو الرسول الذى يعيد للانسان انسجامه مع الوجود كله ... وهذا الوجود كما نعرفه ليست فيه الحياة التى نعرفها فى نفوسنا .. ولكن له حياة .. وله تعقل فى التلقى عن الله .. وله فرح وله حزن .. وقد شاء الحق سبحانه وتعالى أن يعرض لنا هذه القضية عرضا اجماليا ... لنعرف أن الكون كله عبد الله ... وخاضع له فقال سبحانه : **(وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)** أى كل شىء فى الوجود مسبح ولكننا ألفنا التسبيح بألفاظ وبلغة .. فلما لم نسمع عن الكون ألفاظا ولغة .. قال بعض العلماء : انه تسبيح الدلالة على وجود الله وعلى وحدانيته .. نقول لهم : مرحبا .. له أيضا تسبيح الدلالة ولكن ذلك لا يمنع من التسبيح الحقيقى ... **لأنه** ان كان تسبيح دلالة كما يقولون فالحق يقول (ولكن لا **تفقهون** تسبيحهم) وأنتم قد فقهتموه .. اذن فهو غيره .

والذى يدل على ذلك أن الحق سبحانه عرض من أجناس الوجود أشياء وجعلها تشترك أيضا مع الانسان فيقول فى شأن

داود عليه السلام : **(يا جبال أوبى معه)** أى رجعى تسبيح الله ... أى يجب أن يوافق ترجيعك يا جبال ترجيع داود **(وسخرنا مع داود الجبال يسبحن)** ... والجبال مسبحة مع داود ومع غـير داود ... ولكن الأمر أن يتفق تسبيح الجبال مع تسبيح داود ليكون كأنه عرس توحيدى فى الكون ... ويعرض الحق سبحانه أيضا أن لجميع الاجناس منطقا ولغة ... جهلنا به هو الذى جعلنا لا نفقهها .. فاذا علم الله انسانا من خلقه لغة هذه الاشياء أمكنه أن يتفقه تسبيحها ونطقها .. ويقول الحق سبحانه : **(قالت نملة يا أيهـا النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون)** ... وسمعها سليمان ... وحمد الله على أن أنعم عليه بفهم لغة النمل ... وقد يقال ان تلك أمور تعلمتها النملة لتحافظ على نوعها .. بدليل **(لا يحطمنكم سليمان وجنوده)** فهى تحافظ على بقاء النوع .. والرد على هذا القول : بلا ... لانه حينما عرض الحق سبحانه أيضا قصة هدهد سليمان .. فماذا قال الهدهد ؟ .. لقد قال : **(وجئتك من سبا بنبا يقين • انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم)** .. هذا كلام الخبر .. ولكن يهمنا فى قضية العقيدة والتوحيد .. أنها أمر سائر فى كل أجناس الكون أن يقول الهدهد **(وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله)** .. هذا ما حز فى نفس الهدهد ... اذن فالهدهد يعرف من يجب أن يسبح ومن يجب أن يسبح له ... **(ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض)** •

اذن فاذا عرضت لنا السيرة العطرة أن أشياء من الكون فرحت برسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثت أشياء منها ، فذلك أمر لا نستبعده على كون مسبح لله .. عارف بحق الله .. وايضا لنـا نحن المطلوبين بأن نؤمن بهذا .. ولـكن الذين آمنوا هم الذين شاهدوها وسمعوها .. ومن سمعوها حجة على انفسهم ونحن

نتلقى عنهم الخبر .. فان كنا موثقين لهم فى الخبر صدقناه .. وان لم يتسع ظننا لتوثيق الخبر فنحن احرار فى أن نصدق أو لا نصدق .. ولكن منطق الأشياء ومنطق الوجود لا يمنع وجود شىء من ذلك ... فاذا حدثنا أن ايوان كسرى قد شق .. فماذا فى ذلك ؟ .. وماذا فى ذلك من العجب ؟ .. انستبعد أن يؤقت شق الايوان بميلاد الرسول ؟ .. انستبعد على الله أن يخمد نار فارس ويؤقته مع ميلاد الرسول ؟.. نستبعد على الله أن يؤقت أن تغيض بحيرة ساوة مع الميلاد ؟ ... لمـــاذا هذا اذن !! .. فالقرآن حين يعرض لهذه القضية يعرض لمـــا حدث فى الكون فى عام الفيل ...

ففى عام الفيل جاء قوم ليهدموا الكعبة ... بيت الله الذى اختاره لنفسه .. وحوله ونحوه نلتف جميعا فى الصلاة .. هذا البيت له قالب أريد به ضر وهدم .. فلماذا لا نفهم أن الحق سبحانه وتعالى حافظ على مبنى البيت فى ذلك العام وأوجد فيه الشخص الذى يحافظ على معناه فى ذلك العام .. فتكون المحافظة على المبنى بمنع أبرهة من هدمه .. هى بعينها المحافظة على بقائه لربه بميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ؟ .. واذا كان الحق سبحانه قد عرض لنا هذه القضية فانه قد عرضها عرضا عجيبا ... هذا العرض العجيب يتجلى فى قوله سبحانه **(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم فى تضليل . وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول) .**

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير وقتها ولكنه علم بالقضية من الله ... والمسألة كلها متعلقة بمحمد صلى الله عليه وسلم **(فعل ربك)** والرب تفيد التربية والكمال والبلوغ بالمربى الى درجة الكمال ... فمادام **(فعل ربك)** فتكون لمحمد علاقة بالمحافظة على ذلك البيت الحرام .

دار العلوم للطباعة تليفون ٣١٧٤٨
رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٠/٢٧٨٤
الترقيم الدولى ٧ — ١١ — ٧٣٢٨ — ٩٧٧